الشيخ أحمد القَلَّاش: حياته العلمية ومميزاته التعليمية

د. محمد فائز عوض
جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفيّة - استانبول

تمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، الذي قال في حقّ العلماء إنهم «ورثة الأنبياء»، فحازوا بذلك المكانة السامية والمنزلة الرفيعة، فهنيئًا لمن اقتفى أثرهم ونهج سبيلهم. أمّا بعد، فقد ذكر أهلُ العلم فوائدَ عظيمةً من هذه التراجم، نذكرها لتكون سببًا ليُشمّر المرء للعكوفِ على قراءة تراجمهم، من ذلك:

- علوّ الهمة وثبات القلب، قال أحد السلف: الحكايات جندٌ من جنودِ الله يُثبّتُ الله بها قلوبَ أوليائه، وشاهِدُه من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

- الاقتداءُ بالسلفِ والاستفادةُ والاعتبارُ بمواعظِهم وأحوالِهم، يقول ابن الجوزيّ رحمه الله: «وعليكم بملاحظةِ سِيَرِ السلفِ، ومطالعةِ تصانيفهم وأخبارهم؛ فالاستكثارُ من مطالعةِ كتبهم رؤيةٌ لهم كما قال:

فاتني أن أرى الديارَ بطرفي   فلعلّي أرى الديارَ بسمعي

ولو قلتُ إنّي طالعتُ عشرينَ ألفَ مجلّدٍ كان أكثرَ، وأنا بعدُ في الطلب،

استفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سِيَرِ القومِ، وقَدْرِ هِمَمِهم وحفظِهم وعباداتهم، وغرائبِ علومِهم ما لا يعرفه من لم يطالع».[1]

- صلاحُ القلبِ: قال ابن الجوزيُّ رحمه الله: «رأيتُ الاشتغالَ بالفقهِ وسماعِ الحديثِ لا يكاد يكفي في صلاحِ القلبِ إلا أن يُـمزَجَ بالرقائقِ والنظرِ في سِيَرِ السلفِ الصالحينَ؛ لأنّهم تناولوا مقصودَ النقل، وخرجوا عن صُوَرِ الأفعالِ المأمورِ بها إلى ذوقِ معانيها والمراد بها».[2]
- معرفةُ الإنسانِ قدرَ نفسِهِ: قال حمدونُ القصارُ رحمه الله: «من نظرَ في سِيَرِ السلفِ عرَفَ تقصيرَهُ وتخلّفَهُ عن درجاتِ الرجال»[3].

وذُكِرَ عند مخلّدِ بن الحسينِ رحمه الله أخلاق الصالحين؛ فقال:

لا تَعْرِضِنّ لذكرنا في ذكرِهِم ... ليس الصحيحُ إذا مَشَى كالـمُقعَدِ

وقال ابن الجوزيّ رحمه الله: «ومن نظر في سِيَرِ السلفِ من العلماء العاملين استحقر نفسَهُ، فلم يتكبّر».[4]

- محبّة السلف والأئمّة؛ لأنّ قراءَةَ تراجمِهِم والوقوفَ عند أحوالِـهم تبعثُ على ذلك؛ فطوبى لمن أحبّهم في الله ولله جلّ وعلا، فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «المرءُ مع من أحبّ».[5]
- مِنَ الفوائدِ كذلك أن تجتمعَ عند المرءِ خلاصَةُ التجارِبِ وعُصَارَةُ الأفكارِ، ويطّلِعَ على عجائبِ الأمورِ وتقلّباتِ الزمانِ.

قال بعضُهم:

إذا عَلِمَ العبدُ أخبارَ مَن مَضَى ... توهَّـمْـــتَهُ قد عاشَ من أوّلِ الدهرِ

١ صيد الخاطر ١/ ٤٥٤.

٢ صيد الخاطر ١/ ٢٢٨.

٣ صفة الصفوة ٢/ ٣٢٤.

٤ تلبيس إبليس ١/ ١١٦.

٥ البخاري ٥٨١٨، ومسلم ١٦٥ - ٢٦٤٠.

وقال ابن الجوزيُّ رحمه الله في مقدّمة كتابه «المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم»: «واعلم أَنّ فِي ذكر السِّيَرِ والتواريخِ فوائدَ كثيرةً.. وَالثَّانِيَة: أَنْ يطّلع بِذَلِكَ عَلَى عجائبِ الأمورِ وتقلّباتِ الزمنِ، وتصاريف القَدَرِ، والنفْسُ تجدُ راحةً بسماعِ الأخبارِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرو بن العلاءِ لرجلٍ من بَكْرِ بن وائلٍ قَدْ كَبُرَ حَتَّى ذهبَ منه لذّةُ المأكلِ والمشربِ والنكاحِ: أتحبُّ أَنْ تموتَ؟ قَالَ: لا، قِيلَ: فَمَا بقيَ من لذّتك فِي الدنيا، قَالَ: أسمعُ بالعجائبِ».[١]

- من فوائدِ ذلك تنزّلُ الرحماتِ، حيثُ بِذِكْرِ أحوالِ السلفِ والعلماءِ يحصُلُ في النفوسِ من الحركةِ والرغبةِ إلى الخيرِ واللّذّةِ والسرورِ، فإنّها رحماتٌ من اللهِ عزَّ وجلّ يجعلُها في قلوب المؤمنين. هذا وقد وقعَ اختياري على ترجمةِ عالمٍ من أساتذتي الكرامِ ومشايخي الفضلاءِ، ممّن كان له الفضلُ الكبيرُ في تعليمي ونشأتي العلميّة في المدينة المنوّرة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، حيث لازمتُهُ ما يزيد على خمسةَ عشر عامًا، أنهَلُ من علمِهِ وأدَبِهِ، وألاحظُ حياتَهُ وتصرّفاتِه، وأستفيدُ من حِكَمِهِ ونُكَتِهِ، وأتنبَّهُ لملاحظاتِهِ وتدقيقاتِه، ألا وهو أستاذي **الشيخ أحمد القلاّش الحلبيّ المدنيّ**، رحمه الله وأسكنَهُ فسيحَ جنّاته.

ولادتُهُ ونشأتُهُ

وُلِدَ شيخُنا رحمةُ اللهُ في مدينةِ حلبَ الشهباءَ، مدينةِ العلمِ والعلماءِ وموطن العزّة والإباء، عامَ ١٩١٠م.

الشيخ أحمد القلاش

أكرمَهُ اللهُ تعالى بشرفِ الانتسابِ إلى العلمِ الشرعيّ في سنٍّ مبكّرةٍ من حياته. فبدأ يتلقّى العلومَ الشرعيّةَ والعربيّةَ في المدرسةِ العثمانيّةِ، على يد شيخِهِ الشيخ محمّد الناشد (ت١٣٦٥هـ). وحفظ ألفيّةَ ابن مالكٍ وعمره ١٣ سنة بالإضافة إلى بعض المنظومات الأخرى. ثمّ التحق بكعبةِ العلمِ ومرتَعِ

١ المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ١ / ١١٦

العلماءِ (المدرسةُ الخسرويّةُ)، وفي عام: ١٣٤٨هـ، الموافق ١٩٢٩م، تخرّجَ الشيخُ في (المدرسة الخسرويّةِ) حائزًا على الدرجةِ الأولى، بمرتبة نابغٍ ممتازٍ، وغُذّيَ بالمعرفةِ في جنباتها على كبارِ علماءِ العصرِ آنذاكَ.

ومن هؤلاء الأعلام: الشيخ ابراهيم السلقينيّ الكبير، عَلَمِ العربيّةِ والفقهِ وشيخِ المدرسةِ الخسرويّةِ، أحدِ العلماءِ الأعلامِ ومشاهيرِ الأولياء الكرام. والشيخ طاهر الكياليّ. والشيخ أحمد التيجيّ. والشيخ إبراهيم الدرعزانيّ. والشيخ محمد الحنيفيّ. والشيخ محمد سعيد الإدلبيّ. والشيخ محمد راغب الطباخ. ووالشيخ عمر المارتينيّ. والشيخ أحمد الكرديّ. والشيخ عبد الله المعطي. والشيخ فيض الله الكردي. والشيخ أحمد الشماع. والشيخ مصطفى باقو. والشيخ أسعد عبه جي، مفتي الشافعيّة. وأبرز المؤثّرين فيه من أساتذته: الشيخ الجليل والمرشد الفاضل الشيخ عيسى البيانونيّ، مدرس مادّة الأخلاق، وشارك في تأبينه بعد وفاته بقصيدةٍ شعريّةٍ.

عطاؤه العلميّ

بعد تخرُّج الشيخ في المدرسة الخسرويّة عام ١٩٢٨م، أنشأ رحمه الله كُتَّابًا صغيرًا، ثمّ حوّلَهُ إلى مدرسة سُمّيت: (المدرسةَ الرِّضَائِيَّةَ)، درَّس فيها سبعَ سنواتٍ هو ورفيقُهُ الشيخُ بكري رجب.

الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي

ثم درَّسَ في المدرسةِ الشعبانيّةِ في حلبَ مع محدّثِ حلبَ المباركِ الشيخِ المحدّثِ العلاّمةِ: عبد الله سراج الدين، رحمه الله، واستمرّ فيها أكثرَ من ثلاثينَ عامًا، كما درَّس في الخسرويّة والثانويّةِ الشرعيّةِ وغيرها.

وكان ينتقلُ بين المدارسِ مع حرصِهِ على الوقتِ، حيثُ كانَ غذاؤهُ التينَ المجفّف المحشوَّ بالجَوزِ.

كما كانت له جولاتٌ على القُرى المحيطةِ بحلبَ كلَّ يومِ إثنين، بصحبةِ بعضِ إخوانِهِ من العلماءِ يجمعونَ أهلَ القريةِ في المسجدِ، فيعظُونَـهم، ويعلّمونهم

أمرَ دينِهم ودنياهم، وكان يُشارِكُهُ في هذه الجولاتِ صديقُه الشيخ بكري رجب، والشيخ مصطفى مزراب والشيخ محمد الغشيم ت ١٣٩٨هـ، والشيخ عادل حمصي، والشيخ عبد المجيد قطّان، وغيرهم.

المدرسة الشعبانية بحلب

وربّما قصدَ بعضَ المقاهي في مدينةِ حلبَ، ووقف بمكان الحكواتيّ ليعِظَ النّاس ويعلّمُهُم، وقد تعرّضَ لكثيرٍ مِنَ المضايقاتِ حتّى مُنِعَ من قِبَل الشرطة.

وكانت له دروسٌ في اللغة العربيّةِ والفقهِ الشافعيِّ والتفسيرِ في المدرسة الخسرويّةِ، وكان ينتقلُ بين هذه المدارسِ، يُلقِي دروسَه هنا وهناك، دونَ كللٍ أو مللٍ، إذ كان يجدُ متعتَهُ في نشرِ العلمِ، وإفادةِ الطلابِ، وقد تخرّج على يديه عددٌ كبيرٌ من طلابِ العلمِ، خلالَ أكثرَ من سبعينَ سنةً أمضاها في نشرِ العلمِ والدعوة إلى الله.

هجرتُه إلى المدينةِ المنوّرة

وفي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م، آثرَ الشيخُ مجاورةَ النبيِّ ﷺ، فهاجرَ إلى المدينةِ المنوّرةِ، وعمل أستاذًا في الجامعةِ الإسلاميّةِ فيها، أكثرَ من سنتين، واختيرَ خلالها عضوًا في مجلسِ البحثِ العلميّ في الجامعةِ المذكورةِ، وعندما أُحِيلَ إلى التقاعدِ نظرًا لكِبَرِ سنّهِ، آثرَ البقاءَ في المدينةِ المنوّرةِ للمجاوَرَةِ والعبادةِ.

الشيخ محمد صديق الميمني

ثم انتقلَ بعدَها إلى مدرسةِ أُبيّ بنِ كعبٍ لتحفيظِ القرآنِ الكريمِ بإدارةِ الشيخِ الحافظِ القارئِ محمّد صديق الميمنيِّ، رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد العزيز المكوار

وكانت له مجالسُ علمٍ متعدّدَةٌ في المسجدِ النبويِّ الشريفِ، وعند بعضِ أهالي المدينةِ الكرامِ كالشيخ محمّد زكريّا البُخارِي رحمه الله والشيخ عبد الحميد عبّاس بجوار مسجد قباء، والشيخ عبد العزيز المكوار رحمه الله، ومجالسُ كثيرةٌ في بيتِهِ المتواضعِ في المدينة المنوّرة.

وقد رأيتُ بنفسي كبارَ الأساتذةِ والمدرّسينَ في الجامعةِ يأتونَ الشيخَ لاستشارتِهِ في بعضِ المسائلِ وبيانِ رأيِهِ فيها.

ميزاتٌ تربويّةٌ امتازَ بها الشيخ

لعلّ العلمَ الوافرَ الذي أكرمَ اللهُ به شيخَنا رحِمَهُ اللهُ لم يكن هو المميّز له عن كثير من العلماء، وسأذكر بعضَ ما لمستُهُ بنفسي من خصائصَ فريدة عندَه:

- **تواضُعُه**: ممّا امتازَ به الشيخُ رحمه الله تواضعُهُ النادرُ وخاصّةً في الناحيّة العلميّة؛ فقد كان رحِمَهُ اللهُ لا يستنكِفُ عن طلبٍ للإقراءِ من طالبٍ مهما كانَ مستواهُ العلميُّ، بل كنتُ أراه أحيانًا كثيرةً يجلسُ إلى بعضِ الإخوةِ مِنَ الأعاجمِ في المسجدِ النبويِّ ليعلّمَهُمُ التلاوةَ الصحيحةَ لكتاب الله تعالى، وبعدَ تركِهِ العملَ في الجامعة الإسلاميّةِ عمِلَ رحمه اللهُ في مدرسةٍ ابتدائيّةٍ (مدرسةِ أُبيّ بن كعبٍ لتحفيظِ القرآنِ الكريمِ).

- **هضم الذات**: ومن ميزاتِ الشيخِ رحمه اللهُ أنّه كانَ شديدَ الإنكارِ لذاتِهِ مقرًّا بعجزِهِ وضعفِهِ، فقلّما يبدأُ درسًا من دروسه إلاّ ويبدأ به بسؤالِهِ المعروفِ: ما الإنسانُ؟

وقد يُجيبُهُ السائلُ للوهلَةِ الأولى بما تعلّمه في علم المنطق بأنّه: «حيوانٌ ناطقٌ» فيُعلّقُ الشيخُ على هذا مع ابتسامةٍ لطيفةٍ قائلاً: الإنسان: عجزٌ واضحٌ وجهلٌ فاضحٌ ودعوى عريضةٌ، وفي التركيزِ على هذه المعاني زرعٌ لقيمةِ العبوديّةِ في نفسِ الطالبِ وتقويةٌ لضرورةِ صدقِ الالتجاءِ إلى الله تعالى والاستعانة به.

- **شدّةُ محبّتِهِ لرسولِ الله ﷺ** والاستزادةُ من قراءة ما ينمّي ذلك: لعلّ اهتمامَ الشيخِ بعلومِ اللغة كثيرًا والتفاتَهُ إليها ومطالعتَهُ كتبَها نبّهَهُ إلى ضرورةِ الصلةِ بسيرةِ

رسولِ الله ﷺ ومديحِهِ ومطالعةِ ما كُتِبَ في هذا المقام، وقد تجلّى هذا في صور شتّى: منها زيارتُهُ اليوميّةُ لرسولِ الله ﷺ بعد درسِهِ الصباحيّ الممتدِّ من بعدِ صلاةِ الفجرِ إلى بعد طلوعِ الشمسِ، ومن ذلك أيضًا ما كان يمتّعنا به من قراءةٍ في كتبِ المدائحِ النبويّةِ؛ كالمجموعة النبهانيّة؛ فيقرأ منها في غالب دروسه؛ وكمنظومة طيبةَ الغرّاء للشيخ يوسف النبهانيّ، وكان يُسرُّ به غايةَ السرورِ، ويقولُ في حقِّ ناظمها الشيخ يوسف رحمه الله: لولا السبق لفضّلتُهُ على البوصيريّ.

- **أدبُهُ مع طلاّبه**: مِنَ الملاحظِ في حياةِ الشيخ العلميّةِ شدّة محبّته لطلاّبه، وتواضعه لهم، فكان كثيرًا ما يستشيرُهم في المسائلِ العلميّة ويعتمدُ أقوالَـهم أو يكلّفُ الواحدَ ببحثِ مسألةٍ ما وكتابةِ ما قيلَ فيها.

- **تأثُّرُهُ بمن سبقَهُ من العلماءِ المخلصينَ ووفاؤُهُ لهم**، فكمْ كان يطرَبُ الشيخُ رحِمَهُ اللهُ لسماعِ قصةٍ عن عالمٍ أو ذكر موقفٍ لداعيةٍ، ويتأثّر لذلك، ويبكي أحيانًا، وقد لمستُ ذلك منه حينما كان يلتقي بسيدي الوالد الشيخ محمد عوض رحمه الله فيقول له: يا شيخ محمد حدّثنا عن شيخك الشيخ عبد الكريم الرفاعيّ فقط.

ومـمّا يدلّ على ما ذكرتُ تبرُّعُهُ بقسمٍ كبيرٍ من مالِهِ لبناءِ مسجدِ الشيخِ عبدِ الكريمِ الرفاعيِّ بدمشقَ، وقد كنتُ شاهدًا على تلكَ الواقعةِ رحمه الله وأجزَلَ مثوبتَهُ.

خصائصُهُ في التعليم والتدريسِ

لعلّ هذا المجالَ مـمّا برعَ فيه الشيخُ وفاقَ أقرانَهُ، ذلك أنّه تفرّدَ بأساليبِ تفهيمٍ وإيضاحٍ، يُساعِدُهُ على ذلكَ نكتةٌ حاضرةٌ وذكاءٌ وقّاد، ومن أهمّ تلك الأمور ما يلي:

- **عنايتُهُ بعلامات الترقيم**: لعلاماتِ الترقيمِ أثرٌ بالغٌ في إيصالِ المعنى المرادِ من النصّ مـمّا دعا بعضَ العلماء كابن كمال باشا إلى أن يفردَ معانيها بالتأليفِ والدراسة، فكان الشيخُ ينبّهُنا أثناءَ القراءةِ عليهِ إلى النقطةِ والنقطتينِ، والفاصلةِ والفاصلةِ المنقوطةِ، وعلاماتِ الاستفهامِ والتعجبِ والأقواسِ والمعترضتين.

- **الصوتُ المناسبُ للجُملَةِ المقروءةِ**: ممّا استفدناهُ مِنَ الشيخِ رحِمَهُ اللهُ أن يكونَ صوتُ القارئِ متناسبًا مع مضمونِ الجملةِ فلا يصحُّ أن يكونَ نَغَمُ الجملةِ الاستفهاميّةِ كنَغَمِ الجملةِ التقريريّةِ أو التعجبيّةِ، وهذا ممّا ينبغي لمدرسِي اللغةِ العربيّةِ تنبيه الطلاّب لهُ.

- **اتَّهِموا المطبعةَ لتفهَموا**: هو عنوانٌ جعلَهُ الشيخُ رحمه الله في كتابهِ تيسيرَ البلاغةِ، ومنهجًا في قراءةِ الكتبِ العلميّةِ، ويقولُ في هذا المجال: «فأصبحَ من واجبِ القارئِ أن لا يعجَلَ، وأن يُلاحِظَ المعنى قبلَ أن ينطُقَ باللفظِ، وأن يُعمِلَ عقلَهُ وحيلَتَهُ حينما يلتبسُ عليه الوجهُ الصحيحُ، فيصبر حتّى ينفتِحَ له طريقُ الصوابِ، وإلاّ كان عرضةً للتندّرِ بقراءتِه، و الهزؤ بغباوتِهِ».[1]

لذلكَ كانَ رحِمَهُ اللهُ يقرأُ الجملَةَ من الكتابِ، فإن ظَهَرَ معناها ظهورًا بيّنًا فبها ونعِمَت، وإلاّ كانَ يُحاولُ استبدالَ حرفٍ بنظيرِهِ: كالفاءِ والقاف، والباء والياء، والنون والتاء، والصاد ولضاد والطاء والظاء، ثم إن ظَهَرَ المعنى ظهورًا واضحًا عدّلها في الكتابِ المطبوعِ وأشارَ إلى ذلكَ، وإن بقِيَ نوعُ خفاءٍ كتبَ عندها: (لعلّه) فربّما يتّضحُ لهُ في المستقبلِ وجهُ اليقينِ فيها.

والملاحظُ هنا أدبُ الشيخِ معَ مَنْ سبقَهُ مِنَ المصنّفينَ المؤلّفينَ حيثُ نَسَبَ احتمالَ الخطأِ للطباعةِ؛ لأنَّ العالِمَ لا تخفَى عليهِ مثلُ هذهِ الأمورِ.

- **ضبطُهُ للكلماتِ والألفاظِ الغريبةِ ضبطًا دقيقًا موثّقًا**: كما سبقَ ذكرُهُ في ضبطِ الحروفِ والكلماتِ، وكانَ رحمَهُ اللهُ دقيقًا في الضبطِ اللغويّ وضبطِ الحركاتِ، وكان دائمَ الرجوعِ إلى المعاجمِ والقواميسِ؛ لمعرفةِ حركةِ الأحرفِ ووزنِ الكلمةِ الصرفيّ ومعانيها، ويوثّق ذلك بإشارةٍ موجزةٍ لطيفةٍ فوقَ الكلمةِ المضبوطةِ إلى المصدر كـ (مخ، قاموس، لسان، صحـ) لئلاّ يقعَ في الشكّ فيما بعد.

- **تمييزُهُ للفوائدِ والنوادرِ والنكاتِ من الكتب**: لم تَكُنْ مطالعةُ الشيخِ لكتبِ العلمِ مطالعةً عابرةً لقضاءِ الوقتِ وحسابِ الصفحاتِ؛ بل كانت مطالعةَ المدقّق

[1] تيسير البلاغة ١١٥

المحقّق المتفهّم لما يقرأ، الواعي لما يُسطِّر، لذلك نجدُهُ رحمه الله إن مرَّ بفائدةٍ نادرةٍ أو مَلمَحٍ دقيقٍ أو فهمٍ لغامضٍ ونحو ذلكَ، يُشيرُ إليهِ في الصفحةِ السابقةِ أو التاليةِ لعنوانِ الكتابِ معَ ذكرِ رقمِ الصفحةِ، ويشيرُ إلى موضعِ المهمّةِ في الصفحة نفسِها؛ وفائدةُ ذلكَ تظهَرُ عندَ بحثِهِ عن مسألةٍ ما أو موضوعٍ معيّنٍ فيجدُهُ في فهرسِهِ الخاصِّ لهذا الكتابِ من خلال الملاحظاتِ المدوّنة.

- **السَّنْدُ والردُّ:** من الأمورِ التي امتازَ بها تعليمُ الشيخِ لطلاّبِهِ أنّه كانَ مشاركًا لهم مشاركةً فعّالةً، لذلك كان أثناءَ درسِهِ يجعلُ طلبتَهُ يقرأونَ للاطمئنانِ على فهمهم وضبطِهم ومعلوماتِهم وصحّتها، وكانت طريقتُهُ في تصحيحِ أخطائهم نادرةً مفيدةً، وهي ما كانَ يعبّر عنها بالرّدِ والسَّنْدِ، وكان يُشبِّهُ ذلكَ بأنّكَ لو وجدتَ شيئًا يوشكُ أن يقعَ على الأرضِ فقمتَ بردِّهِ مباشرةً وبقوّةٍ فقد يتحطّمُ ويتلَفُ، بينما لو أنّكَ تلقّيتَهُ بهدوءٍ لِتَرُدَّهُ إلى مكانِهِ الطبيعيّ فستحافظُ عليه، وكذلك الحالُ فيمن أخطأَ بقراءةِ كلمةٍ أو ضبطِها فالواجبُ أن لا نُصحِّحَ له مباشرةً لأنّه سيردِّدُ الجملةَ الصحيحةَ دونَ معرفةِ موقعِ الخطأ وسببِه، كما أنّ هذه الطريقةَ تُحرِجُهُ أمامَ زملائِهِ، بل نترفّقُ به، ونجعله يتنبّهُ إلى خطئِهِ، ويُصحّحُهُ بنفسِه، وهذا بلا شكّ تكريمٌ له وتعليمٌ. وكان الشيخُ يردِّدُ في ذلكَ عبارةً مشهورةً عنه: (الردُّ يُحطِّمُ ويهدِمُ والسَّنْدُ يُعلِّمُ ويُكرِمُ).

- **تبديلُهُ الأمثلةَ النحويّةَ التعليميَّةَ** إلى أمثلةٍ تخدمُ الأهدافَ التربويّةَ الإسلاميّةَ في نفوسِ الناشئةِ.

فكانَ: (حفظ محمدٌ القرآنَ) ونحوَهُ مثالَهُ المحبّبَ والبديلَ للمثالِ الشهيرِ: ضربَ زيدٌ عَمرًا.. وعلى هذا فقِسْ.

وعندَ قولِ قولِ ابن مالكٍ رحمَهُ الله:

واخصُصْ بفاءِ عطفِ ما ليسَ صِلَةْ   على الذي استقرّ أنّهُ الصِّلَةْ

جاء في شرح ابن عقيل المثال الآتي: [الذي يطيرُ فيَغضَبُ زيدٌ: الذبابُ] فكان الشيخُ يمتعِضُ من هذا المثالِ ويُملي علينا هذا المثال الرائع: [الذي يَحكُمُ فيسودُ الأمنُ: القرآنُ].

- **ضبطُهُ للأبياتِ الشعريّة**: لم يكن الشيخُ من الشعراءِ المتخصّصين، لكنّه كان يُحِبُّ الشعرَ ويتذوّقه، ويدركُ موزونَهُ من مكسورِهِ سليقةً وتذوّقًا.

وقد حدّثني بنفسِهِ عن تعلّمِه علمَ العروضِ بأنَّ أخاهُ الشيخ بكري رجب أشارَ إليه أثناءَ طلبِهما العلمَ بعدمِ معرفتِه لعلمِ العروضِ، فتحمّس الشيخ لتعلّمه، وسألَهُ عن أهمّ كتبِ العروض المنتشرة آنئذٍ، فذكَرَ لهُ الشيخُ بكري أنّه كتابُ ميزانِ الذهبِ في صناعةِ شعرِ العربِ؛ فأخذَ الشيخُ الكتابَ، واعتكَفَ في مسجدِهِ لمدّةِ أسبوعٍ كاملٍ يقرأُ الكتابَ، ويحقّق فيه، وبعدَها التقى أخاه الشيخ بكري، وقد أتقَنَ علمَ العروض من هذا الكتاب بنفسِهِ، واستدرك عليه بعضَ الأخطاءِ الواقعة فيه.

مؤلّفاته

من منهجِ الشيخِ رحمهُ اللهُ في مؤلّفاته عدمُ تضخيمها، وملامسَتُها للواقع، ونقلُ النصوص بحذافيرها؛ لذلك نجدُ أنّه ألّفَ في العبادات والمعاملاتِ والأخلاق واللغة، وسنعرض لها بالتعداد دون تفصيل:

أ - الكتب العلميّة:

- تيسيرُ البلاغةِ. أبرَزَ فيه البلاغةَ في ثوبٍ جديدٍ يُناسِبُ هذا العصرَ.
- أحكامُ البيع على المذهب الشافعيِّ، مع الأدلةِ والعباراتِ الواضحَةِ.
- من كنوزِ الإسلام.
- من بدائع الحكم.
- من ذخائرِ الإسلام.
- في ظلال الجنة.
- تفسير جزء عم.

ب - الرسائلُ التوجيهيّة:

- كيف تكونُ مسلمًا؟
- الصلاةُ الخاشعةُ.

- صوموا تصِحّوا.
- كيف تحجّ؟
- أنفعُ الدروسِ في تهذيبِ النفوسِ.
- سلّمُ الأطفالِ لبلوغِ الكمالِ.
- أزهارٌ في تربية الصغار.
- عجائبُ من الأخلاق الإسلاميّة.
- محمدٌ رسولُ الجهاد.
- حيَّ على الجهاد.
- طريقُ النصر.

ج - القصصُ التربويّةُ للأطفالِ والكبار:

- القصصُ النبويُّ الصحيح.
- معجزةُ الإسراءِ والمعراجِ.
- أنبياءُ العرب.
- عيسى بن مريم.
- يوسفُ الصّدّيق.
- نوحٌ عليه السلام.
- جنّةُ آدمَ.

كما قام بتصحيحِ بعضِ الكتبِ والإشرافِ على طباعتها، ومنها:

- (كشفُ الخفاءِ ومزيلُ الإلباسِ عمّا اشتهرَ من الأحاديثِ على ألسِنَةِ الناسِ)، للعجلونيّ.
- وكتاب: (إتمامُ الوفاءْ في سيرةِ الخلفاءْ) لمحمّد الخضري.

مرضُهُ ووفاتُهُ

وما زالَ الشيخُ مقيمًا في المدينةِ المنوّرةِ، مجاورًا الحبيبَ المصطفى عليه الصلاةُ والسلامُ، مستمرًّا على عطائِهِ العلميّ، حتى كُسِرَ حوضُهُ، ولزِمَ الفراشَ، وكانَ يتردّدُ عليه طلابُ العلمِ، وهو حاضِرُ البديهةِ، ولم يخلُ مجلسُهُ حتى في أيامِ مرضِهِ من الفوائدِ العلميّةِ، والنكاتِ اللغويّةِ، ويتعرّفُ على زائريه، ويطلبُ القراءةَ عليهِ في كتابٍ من كتبِ العلمِ، حتى اشتدَّ به المرضُ قُبَيْلَ وفاتِهِ بشهرٍ.

وقد حدّثني أحدُ طلاّبِهِ الملازمينَ له أنّهُم لـمّا كانوا يزورونَهُ في غيبوبته قبيل وفاتِهِ فربما قرأوا عليه شيئًا من كتبه وخاصّةً من كتابِهِ (في ظلالِ الجنّة) فيرونَ الشيخَ يرفَعُ يديهِ كمن يريد أن يتناوَلَ شيئًا من الأعلى، وتكرّرَ هذا منه رحمَهُ الله.

توفّيَ الشيخُ عصرَ يومِ السبت العاشر من شهر رجبَ الفردِ عام ١٤٢٩هـ، وصُلّي عليه في المسجدِ النبويّ بعد صلاة فجر يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجبٍ عام ١٤٢٩، ووُرِيَ في البقيعِ بجوارِ الرسولِ صلّى الله عليه وآلِه وسلّم، وصحابتِه الأكرمينَ والعلماءِ والصالحينَ، وانطوت بموتِهِ صفحةٌ من صفحاتِ العلمِ الناصعِ، وتاريخِهِ العَبِقِ الشذيّ، نسألُ الله سبحانَهُ أن يتغمّدَ فقيدَ العلمِ بواسعِ رحمتِه وسوابغِ إحسانِه.